يبدو أن الآثار الموجودة فى منطقة الوادى الجديد لها معنى مختلف عن كل وجهات نظر علماء التاريخ وباحثيه . . فالمنطقة تحتوى على آثار كل العصور ، وتعطينا صورة واضحة ، ليس عن الماضى فقط ، إنما عن الحاضر والمستقبل أيضا . . وهى ليست « لخبطة خوية » . . أوسوء تصريف لأفعال لغتنا الجميلة ! . . . أوسوء فهم للتاريخ . . بل العكس هو الصحيح تماما ! . .

إسماعيل منتصر

مالا يعرفه السياح عن الوادى الجديد

• تصوير : صبرى صلاح

هذه المنطقة النائية من صحراء مصر . التى يطلق عليها اسم الوادى الجديد ، كانت فى الواقع مسرحا لحضارات كثيرة تعاقبت عليها . . ابتداء من عصر الفراعنة ، حتى العصر الإسلامى . . إنها أقرب ما تكون لمتحف يضم تاريخ كل العصور .

وكل الآثار التى تم اكتشافها تؤكد هذه الحقيقة التاريخية . . ولكن هذه الحقيقة تقودنا إلى حقيقة أخرى أكبر وأهم . . فكل معبد فرعونى تم اكتشافه . . وكل مدينة رومانية أزيلت من فوقها رمال الصحراء . . وكل مقدرة مسيحية تحت معرفة تاريخها . . وكل أثر إسلامى لا يزال موجودا حتى اليوم . . ليس إلا تأكيدا للحقيقة التى تقول إن هذه الصحراء كانت دائما . . قطعة مشتعلة من الحياة والخضرة . . والحضارة . ولكن أية حضارة تعتمد بالدرجة الأولى على الماء .

وهذه المنطقة الصحراوية تبعد مئات الكيلو مترات عن نهر النيل . . فمن فالماء إذن موجود فى قلب هذه الصحراء . . وإلا فكيف كان يعيش أصحاب هذه الحضارة ؟ ومن أين كانوا يحصلون عليه ما لم يكن مدفونا فى أعماق هذه المنطقة ؟

بل أكثر من هذا . . إذا كان الماء كافيا لاستمرار الحياة فوق هذه الصحراء طوال آلاف السنين الماضية . . فلابد أيضا أنه كاف لاستمرارها إلى ما شاء الله ! . . وهكذا يصبح للتاريخ معنى جديد يختلف عن كل المعانى . . ويصبح الماضى فى أرض الوادى الجديد . . أرض الواحات . . حاضرا ومستقبلا أيضا ! . .

طريق قديم

ومنطقة الوادى الجديد تضم ثلاث واحات معروفة . . واحة الخارجة وبها مدينة الخارجة عاصمة محافظة الوادى الجديد . . وواحة الداخلة . . وواحة الفرافرة . .

والحقيقة أنه كان هناك طريق قديم تم اكتشافه . . يربط بين واحة الخارجة ووادى النيل . . وكان يسمى درب الواحات . . ثم أطلق عليه فيما بعد اسم درب الأربعين لأن المسافر على ظهر الجمال كان يقطع هذا الطريق فى ٤٠ يوما ! . . هذا الطريق يربط حاليا بين مدينة أسيوط والسودان مارا بواحة الخارجة . . لكنه غير مرصوف طبعا !

وتوجد بواحة الخارجة معابد فرعونية كثيرة . . أهمها معبد « هيبس » الذى يعود تاريخه إلى عصر الأسرة ٢٦ . التى حكمت مصر ابتداء من عام ٦٦٣ قبل الميلاد . . وقد بنى هذا المعبد فرعون اسمه إبريس . . وقام بتكملته أحمس الثانى .

آبار المياه العذبة فى الوادى الجديد ليس لها نظير فى العالم كله .

◄ المهندس محمود فوزى الريس محافظ أقدم محافظات مصر .

وفى عام ٥٢٥ قبل الميلاد غزا الفرس مصر . . وقام الملك داريا الأول . إرضاء للكهنة المصريين ، بتجميل المعبد ونقش حكايته على جدرانه . . وعندما جاء الرومان إلى مصر نقشوا أيضا على جدرانه ، تقربا للكهنة المصريين . . وكلمة هيبس هى كلمة فرعونية أصلها . . هيث . . أى الحراث . . وهو الاسم القديم لمدينة الخارجة . ويرمزإلى أنها كانت فى تلك العصور مدينة زراعية أراضيها خصبة جدا . .

وفى مدينة الخارجة يوجد أيضا معبد « الناضورة » الذى يبعد كيلو مترين فقط عن المدينة . . ولم يبق فيه غير غرفة حجرية صغيرة . . للأسف الشديد طبعا ! . . وقد بنى هذا المعبد فى عهد القيصر الرومانى هادريان . . فى عام ١١٧ ميلادية

وهذا المعبد يظل على درب الأربعين الذى يربط مصر بالسودان . . ويستطيع الجالس فى هذا المعبد أن يكشف هذا الطريق إلى مسافات بعيدة . . ولذلك سمى بالناضورة . . وهى تسمية ترجع إلى عصر المماليك ، حيث كان يستخدم كقلعة لكشف الطريق ، ومتابعة ومراقبة الداخلين إلى الواحات والخارجين منها .

وتضم واحة الخارجة أيضا أحد الآثار الهامة ، ويسمى جبانة البجوات . . وهى عبارة عن مقابر من العهود القديمة الفرعونية . . استعملها المسيحيون الذين فروا بدينهم من طغيان الأباطرة الرومان ، وعلى رأسهم كبار القساوسة . . الأب بسطورس والأب الثانيوس .

المهم أن هذه الجبانة يمكن أن تعتبر مزارة عالمية للمسيحيين . . ليس من مصر فقط . . إنما من كل دول العالم . . ومن الغريب أن الصدفة قد لعبت دورا فى كشف أحد الآثار القديمة .

فى عام ١٩٥١ قامت عاصفة شديدة أدت إلى الكشف عن منطقة آثار بشندى . . وهى مدينة تمثل الطراز الفرعونى القديم فى عمارتها ومنازلها ومصاطبها . . ويرجع بناؤها إلى الأسرة الـ ١٨ . . ولم تكن هذه الصدفة هى الوحيدة فى الكشف عن تاريخ الوادى وآثاره . . وأسراره أيضا !

زيارة سعيدة ! .

كانت زيارة عادية تلك التى قام بها مفتش الآثار المرحوم الدكتور أحمد فخرى إلى منطقة الوادى الجديد . . وقادته الصدفة إلى المرور على واحة الداخلة . . وهناك اكتشف مقابر « المزوقة » . . وهى « مقابر » الزوقة » . . وهى مقابر منقوشة عليها صور ملونة زاهية تمثل حيوانات الواحات وكذلك صور لإله الماء وإله الزراعة وعليها رسومات لعناقيد العنب وأوراقه وفروعه .

ومنظر للواحة بنخيلها والطيور والفراشات تطير فيها . وفى الصور أيضا رسومات للأبراج السماوية كاملة وكل هذه الرسومات محتفظة حتى الآن بألوانها . . وهذه المقابر برسوماتها وألوانها لا يوجد لها مثيل فى مصر كلها .

وليس غريبا أن يقول الدكتور أحمد فخرى عنها إنها من أهم الاكتشافات فى تاريخ مصر الفرعونية . وليس غريبا أن يقول أيضا إن علم الآثار والفن المصرى القديم سيظهر من أرض

الآثار الإسلامية فى الوادى الجديد من الآثار النادرة التى ليس لها مثيل .. ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم كله

الوادى الجديد .. أرض الواحات !

ومن الغريب أن الزمن استطاع أن يحافظ على هذا الأثر القديم لآلاف السنين .. ولكن الأكثر غرابة أن سكان المدينة أنفسهم .. فى الثلاثين عاما الأخيرة .. استطاعوا أن يهزموا هذا الزمن بعد أن قاموا بتخريب السور .. لأخذ الحجارة منه واستخدامها فى بناء بعض المنازل والسواقى !

والآثار الإسلامية متوافرة أيضا فى منطقة الوادى الجديد .. فى مدينة الخارجة توجد مدينة قديمة إسلامية .. ذات شوارع ضيقة .. وهذه المدينة مسقوفة من أولها إلى آخرها .. وهى من الآثار النادرة .. ليس فى الوادى الجديد فقط أو حتى فى مصر .. إنما فى العالم الإسلامى كله .

أما سبب تسقيف المدينة فهو من أجل حماية سكانها من حرارة الجو .. وحمايتهم أيضا من هجمات البدو وأكيد الجهال الذين لم يكونوا يستطيعون الدخول بجوادهم إلى داخل المدينة .. ومن الغريب جدا أن هناك أناسا مازالوا يعيشون فى المدينة حتى الآن .

ومن الغريب أيضا أن بعض بيوتها تستخدم حظائر للماشية .. ! وهذه المدينة القديمة المسقوفة لا يوجد لها نظير فى بلاد العالم كله إلا فى بلاد قليلة .. مثل تونس .. والمغرب .

إن عدد الآثار التى تم اكتشافها فى المنطقة وصل بالضبط إلى ٩٩ أثرا قديما .. فهل اهتم السادة المسئولون عن السياحة بها ؟ ! أبدا .. ويكفى أن نعرف أن وزارة السياحة وهيئة الآثار لا وجود لها هناك بالمرة .. ولكن عفو فإن هذه الآثار ليست كل ثروات الوادى

جحا أولى .. !

من المعروف أن السياحة التقليدية لم تعد النوع الوحيد من السياحة الذى يهم السائح والذى تعتمد عليه أية دولة سياحية . فمجموعات السياح « العواجيز » التى كانت تأتى للتفرج على الآثار القديمة .. بدأت تختفى لتحل محلها مجموعات من الشباب لا يهتم فقط بالآثار القديمة ، وإنما يهتم أيضا بالبحث عن المتعة والمناظر الخيالة والمغامرة .

وفى الوادى الجديد توجد كل هذه المقومات .. فمن الطبيعى أن تكون أشجار النخيل وسط هذه الصحراء من المناظر التى تستهوى الكثيرين .. وأن يكون جو الوادى الخاف المعتدل أحد العوامل التى تساعد على اجتذاب السائح إلى المنطقة .. ثم إنها منطقة تتميز بأمنها التام واستتباب الأمن فيها والعدام الجريمة تقريبا .

كما أن الوادى الجديد يشتهر بوجود آبار المياه المعدنية التى لا يوجد لها نظير فى العالم كله .. فى منطقة الداخلة توجد عين بها مياه معدنية ساخنة تصل درجة حرارتها إلى ٣٨ درجة مئوية ! .

فهل هناك أفضل من هذا المكان فى مصر كلها للاستشفاء .. كما توجد عيون تتميز مياهها بأنها مياه معدنية شديدة الحلاوة .. وهذه العيون تصلح تماما للشفاء من أمراض الروماتيزم . كما أنه يمكن للسائح أيضا أن يستفيد من حمامات الشمس وحمامات الرمل الساخنة . بالمنطقة كما توجد برك كثيرة للبط يمكن تحويلها إلى أماكن سياحية .

إن السائح يستطيع أن يستمتع تماما بسياحة الصحراء والإقامة فى الخيمات .. وإشباع روح المغامرة .. كما أن سياحة السيارات لها مكان فى الوادى خصوصا على طريق الأربعين القديم . الذى بلا شك سيسعد به آلاف السياح لكى يسيروا فى هذا الطريق القديم .

إنك لا تعرف أن هناك أكثر من ٦ آلاف سائح يزورون منطقة الوادى الجديد سنويا .. وبالتأكيد فإنك أيضا لا تعرف أن هذا الرقم يمكن مضاعفته لو اهتم المسئولون عن السياحة والآثار بالمنطقة .

إن هناك فندقا واحدا بالوادى الجديد كله .. به ٣٠ غرفة فقط .. وهو تابع لمحافظة الوادى الجديد .. التى تشرف على إدارته .. ولم نسمع عن مستثمر واحد ذهب إلى هناك لإقامة فندق ويبدو أن هذا المستثمر سواء كان مصريا أو أجنبيا معذور .. فإن وزارة السياحة نفسها لا وجود لها هناك .. بل إنها تصر على إقامة مؤتمرات سياحة الصحراء فى القاهرة .. أما هيئة الآثار المصرية التى يجب أن نهنئها بتحسين وتجميل هذه المناطق الأثرية فإن رؤساءها لم يفكروا فى زيارة المنطقة ولو مرة واحدة ! ..

فى الوقت الذى تذهب فيه البعثات الأجنبية للبحث والتنقيب عن الآثار هناك .. أليس من الأفضل أن نطبق المثل الذى يقول « جحا أولى بلحم ثوره » .

وفى النهاية نقول للمسئولين عن السياحة : إن فى إمكانكم أن تحولوا هذه المنطقة إلى منطقة سياحية من الدرجة الأولى .. وإذا كان التاريخ قد قدم لنا « خدمة » .. وحفظ لنا هذه الآثار طوال هذه العصور .. فليس لنا أن نطمع منه فى المزيد !

مجموعات السياح « العواجيز » اختفت لتحل محلها مجموعات الشباب التى تبحث عن المتعة والمغامرة .